

حماس في تحولاتها الأخيرة



كباتات وظيفية

حركة الشباب الصومالية توثق علاقاتها بإيران على حساب تركيا

تباين في أدوات توظيف الجماعات المسلحة رغم تشابه الأهداف

شباب المجاهدين الصومالية، والأخرة شيعية وهي جماعة أنصار الله الحوثية باليمن، وهو ما لا تمتنع به قوة أخرى على المسرح الإقليمي، وتطمح إيران من خلال التحالفات المزدوجة مع تنظيمات مسلحة سنية وشيعية في مد منطقة نفوذ تبدأ من الصحراء الكبرى حتى شواطئ الصومال مروراً بخليج عدن وباب المندب، بما يمنحها استخدام بلد مثل الصومال كنقطة عبور لمبيعات الأسلحة الإيرانية لمختلف الجماعات المتطرفة في أفريقيا.

تري حركة الشباب أن تمتين العلاقة مع إيران من العوامل التي ترجح تفوقها في مواجهة محاولات تنظيم داعش التسلل إلى تلك المنطقة وتنشيط خلاياه، والذي دلت إصداراته الأخيرة على اهتمام خاص ببناء نفوذه جديد في أفريقيا.

تتمتع حركة الشباب على خلاف التحالفات المزدوجة مع تنظيمات مسلحة سنية وشيعية في مد منطقة نفوذ تبدأ من الصحراء الكبرى حتى شواطئ الصومال مروراً بخليج عدن وباب المندب، بما يمنحها استخدام بلد مثل الصومال كنقطة عبور لمبيعات الأسلحة الإيرانية لمختلف الجماعات المتطرفة في أفريقيا.

تتمتع حركة الشباب على خلاف التحالفات المزدوجة مع تنظيمات مسلحة سنية وشيعية في مد منطقة نفوذ تبدأ من الصحراء الكبرى حتى شواطئ الصومال مروراً بخليج عدن وباب المندب، بما يمنحها استخدام بلد مثل الصومال كنقطة عبور لمبيعات الأسلحة الإيرانية لمختلف الجماعات المتطرفة في أفريقيا.

فالعلاقة بينهما حاضرة في دوافع الهجوم بالظفر لتوقيته وندرة وقوعه، فلم يسبق أن استهدفت الحركة منشأة تضم قوات أميركية خارج الصومال.

يبرز هذا التطور واقعا يقول إن الحركة الصومالية المتطرفة باتت حليفا قويا للنظام الإيراني، ومن كان ينسب العلاقة بين الطرفين بناء على تبادل المنفعة هو فيلق القدس التابع للحرس الثوري، حيث تستفيد الحركة من سلاح إيران وتحقق الأخيرة مزايا استراتيجية لحكم موقع الصومال الحيوي.

هيمنة إقليمية ومنافسة ضمنية

اختارت إيران دعم حركة الشباب برعاية وتمويل قطريين، بينما يتبنى النظام التركي استراتيجية بناء النفوذ عبر الهيمنة على الفضاء الصومالي الهش من باب المساعدات وإدارة العديد من الأنشطة في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية.

لن تستطيع إيران الهيمنة على بلد غالبية من السنة مثل الصومال من خلال تبني الخطة التركية، ولذلك تحرص عبر تحالفها مع حركة الشباب على تحقيق أهداف مشتركة، كمناهضة النفوذ الغربي والأميركي ومنافسة خصوم إقليميين وإثبات وجودها في تلك المنطقة بالغة الأهمية بنشر الإرهاب والفوضى.

كشفت التطورات المتلاحقة التي تقوم بها إيران وتركيا في دول أفريقية عدة عن حالة من الارتباط الوثيق في المنهج، من خلال هجوم هنا ورد هناك، وبين انحسار هنا ومحاولة للتعبؤ هناك. لكنها كشفت عن تباين لافت في أدوات وأساليب توظيف الجماعات المسلحة السنية، على الرغم من التشابه في الأهداف النهائية.

من الطائرات والمركبات، وفضلت التعامل مع الرد الإيراني المباشر المتعلق بضرب قاعدتها في عين الأسد وأربيل بالعراق ليظل الهجوم على قاعدة كينيا مدرجا ضمن استراتيجية الردع دون أن يسهم في تحريك الصراع إلى مستوى الحرب.

وجه قائد حركة الشباب، أحمد ديري أبو عبيدة، تهديدا قويا لتركيا ولغيرها من القوى الداعمة للحكومة الصومالية التي تعتبرها الحركة قوى طامعة في ثروات البلاد، متهمها تركيا في أول تسجيل صوتي له على إذاعة "الاندلس" التابعة للحركة حمل عنوان "الشرعية أو الشهادة" بنهب ثروات بلاده وغزوها اقتصاديا واصفا إياها بعدو الأمة.

يقع الصومال بين فكي كماشة. فالتدخل التركي والإيراني لا يمنحه فرصة لبناء مؤسسات ولن يمكنه من امتلاك استراتيجية لمحاربة الإرهاب

تتمتع أهمية الرسالة في أنها الأولى لرئيس الشباب منذ توليه قيادة الحركة في سبتمبر من العام 2014 خلفا لأحمد عبيد غودني (مختار أبو الزبير)، وأتى توقيتها دالا على أن إيقاع الحركة بمقاولين وعسكريين أترك ضمن هجومها الدامي الذي نفذته نهاية الشهر الماضي كان مقصودا، معتبرة الوجود التركي في الصومال مستقبلا هدفا لعملياتها ضمن أهدافها الأخرى.

وأكد ذلك تكرار هجمات الحركة على المصالح والحضور التركي في الصومال، حيث أصيب السبت الماضي عدد من العاملين في شركة بناء تركية إثر تفجير ضخم باستخدام سيارة مفخخة بالعاصمة مقديشو التي تضم أكبر سفارة وقاعدة عسكرية لتركيا خارج حدودها.

الكثيرة، التي أرسلتها طهران وقالت أو ألمحت فيها إلى أن النار البليغ، سيكون بايدي "محور الممانعة" ليست إلا نوعا من الممارسة التعبوية. فتعبير "محور الممانعة" يراد منه الإشارة إلى الميليشيات قبل الإشارة إلى الدول. لذلك رأت "زينب" ابنة قاسم سليمانى وجهة في إعطاء التكليف الشخصي من أسرتها لـ "حزب الله" بالثأر لوادها.

اليوم، يواجه حزب الله مازقا داخليا في لبنان وفي إستراتيجيته الإقليمية. والوضع لم يعد كما كان في عهد براك أوباما، عندما تركت الولايات المتحدة الميليشيات الإيرانية ترتع، دون أن تلحق بها صفة من الصفات التي استحقها تنظيم داعش. فهذا تمييز لم يعد قائما. ودوائر اتخاذ القرار في إيران تعرف أن زمن الهجوم بالوكالة قد ولى. فهذا الأخير، بات يؤخذ باعتباره هجوما بالوكالة، تتحمل مسؤوليته مرجعيات المهاجمين. وهذه عقيدة حربية اخترعها الإسرائيليون. كذلك فإن زمن اقتصر الحديث عن إرهاب وإرهابيين، على الطائفة السنية والإرهابيين الذين خرجوا منها، قد ولى أيضا إلى غير رجعة. ففي الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو بلغة متعالية في القاهرة (10 ديسمبر 2019) تحدث عن أيديولوجية جهادية خرجت من الطائفتين السنية والشيعية، وقال ما معناه، إن من ينددون بإرهاب داعش لديهم إرهابهم، وتحدث صراحة عن أنزع إرهابية إيرانية، أطلقتها طهران على الشعب السوري، وأردف قائلا "سنعمل مع شركائنا لإخراج آخر جندي إيراني من سوريا" وكان يقصد الميليشيات. فإن كان هذا القول، لا يزال في حيز التنبؤات، إلا أن المضمهر لدى الإدارة الأميركية، جاء في عبارة قالها بومبيو "لقد انتهى عصر الخزي الأميركي الذاتي".

في هذا الخضم خط حماس خطوطها، وكان ذلك ارتجالا غير محسوب. فمن باب أول، لم تعد هي نفسها، تتبنى مشروعا عسكريا، وسط صراع الفيلة ومع بؤس المجتمع في غزة. ومن باب ثان، ليس لدى إيران ما تقوله لها سوى بيانات امتداح المقاومة حتى وإن لم يدر رجاها. فقد رُكّت غزة بكل وحشية عديد المرات، ولم تطلق بوجه إيران وميليشياتها صفارة إنذار. ومن باب ثالث، لم يلق قرار استعادة الرّخم للعلاقة مع إيران، ولا حرارة الرّئا لسليمانى واعتباره شهيد القدس، حماسة لدى منتسبي حماس.

فقد عاش هؤلاء سنوات، في حال الناسي على الشعب السوري والتعاطف مع المعارضة المسلحة عدوة سليمانى. ثم إن منحنى التفاهات على التهئية مع إسرائيل، وهذه شقيقة الاتفاقات، لا تلائمها حرارة الرّئا لسليمانى. ربما تلائمها تعزية عُمان في رحيل سلطانها. فكيف قرأ قادة حماس المشهد؟ وبأي منظور؟ وماذا يريدون؟

اضطرابات المنطقة تبعث رسائلها، والسياسات الإيرانية والتركية تواجهان انسدادا، والأمن القومي العربي يشهد فراغا أعوى طهران وأنقرة، وليس للفلسطينيين من نصير حقيقي، لا في التسوية ولا في المقاومة. لذا فإن الأجدر بجماعة التسوية الفاشلة والمقاومة المجهدة، أن يلتقيا على هدف جمع عناصر العافية للمجتمع قدراته وإطلاق حرياته واستعادة مؤسساته، لكي تستعيد القضية الفلسطينية زخمها بدل الضياع بين المحاور!



ننذ التعليمات بحذافيرها

عدي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

يمكن للمرء، وبغير افتئات على حماس، أن يرى في تحولاتها الأخيرة ما يناقض بعضه بعضا. فخطوة إعادة الرّخم لعلاقتها مع طهران بتلك الحرارة التي انعكست في رثائها لقاسم سليمانى؛ تنم عن حسابات مرتجلة، ولا نقول ذلك من منطق إنكار حقها في المأساة، على الأقل لأن الرجل الذي قاد خطط إيران العسكرية في الشرق العربي؛ قد شمل حماس برعاية تسليحية ومعنوية. لكن حق حماس عن نفسها أيضا أن تستذكر الدور الذي لعبه سليمانى، كقائد ميداني ينفذ إستراتيجية إيرانية، قوامها السيطرة على بلدان في قلب هذا المشرق، على النحو الذي يلائم تمنيات الإخوان إن لم يكن يمثل لهم كابوسا.

ربما يكون قادة حماس قد جلسوا وفكروا، قبل أن يتخذوا خطواتهم، لكن المنطق يقول، إن محددات هذا التفكير لم تكن صائبة، بحكم معطيات كثيرة في محيطهم الأقرب.

اضطرابات المنطقة تبعث رسائلها، والسياسات الإيرانية والتركية تواجهان انسدادا، والأمن القومي العربي يشهد فراغا أعوى طهران وأنقرة، وليس للفلسطينيين من نصير حقيقي لا في التسوية ولا في المقاومة

فقد كان يتعين عليهم أن يعلموا بان الصراع اليوم، على بلداننا وفيها، يدور بين قوة اعظم قررت إعادة إيران إلى حدودها، وقوة إيرانية اضعفت تريد تثبيت وجودها المتخطي الحدود، من خلال ميليشيات هادرة، ربما في غمرة حماسها، لا تستطيع قراءة السياق الإستراتيجي للسياسات الإقليمية والدولية. وإن ظلنا في نطاق الحديث عن حماس تحديدا، بمقدورنا أن نتبين الفجوة بين خطواتها الإيرانية الجديدة، وتحولاتها الجديدة داخل منطقة سلطتها في غزة.

ففي الوقت الذي يحافظ فيه حلفاء إيران الصغار، على خطابهم المرعد عبر الأثير، فإن إيران نفسها تتوخى تسوية مع الأميركيين، وهي تعرف أن الغرب بات موحدا على هدف تحجيم نفوذها في المشرق العربي، كما تعرف أن ما تملكه من القوة العسكرية، ينحصر في الصواريخ الباليستية، وأن القواعد الأميركية تحيط بها من الشرق والغرب، وأن أي حرب يمكن أن تتدلع ستكون محفوفة بالمخاطر. فسلحتها الجوي شديد التواضع، وتقنيات التحكم في النيران لن تضاهي التقنيات الأميركية، والمجتمع المدني الإيراني يتحيز الفرصة للانفجار، وبالتالي فإن أي حرب، من شأنها تضيق النظام، ولن يجدي قبلة، كل طنين الخطاب الجامح، عند البوطيس. فما الرشقات الصاروخية التي أطلقت على قاعدتين أميركيتين في العراق بالكيفية التي أطلقت بها؛ إلا محاولة مدروسة ومبلغ عنها مسبقا، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من تأثير خطاب الطنين، بل إن الإشارات الإيرانية

